شجاعة جحشون

المختلف ليس بالضرورة سيئا

المهدي عبيد

العنوان: شجاعة جحشون (المختلف ليس بالضرورة سيئا)

كتابة وإعداد وتنسيق: المهدي عبيد

مراجعة لغوية: عبدالله اشباح

facebook.com/abdallah.chbah
93037779

****

تابعني على:

مدونتي على الشبكة **www.alabkari.com**

صفحة الفايس بوك **facebook.com/mehdi.abid.7**

للإتصال:

البريد الالكتروني: **elabkarino@gmail.com**

في إحدى الوديان البعيدة، حيث تتعايش المخلوقات بسلام، كانت هناك قبيلة من الحمير الحمراء تعيش في وئام وفخر بلونها المميّز، لكن ماذا يحدث عندما يُولد جحش صغير مختلف عنها في اللّون؟ وكيف يمكن لاختلافه أن يكون مصدر قوته؟

هذه قصة عن الشّجاعة، والإصرار وتقبّل الذّات، وكيف يمكن للتّحدّيات أن تصنع الأبطال.

دعونا نستكشف معًا رحلة جحشون الأسود الّذي علّم أفراد قبيلته درسًا لن ينسوه أبدًا.

في وادٍ بعيد تحيط به الجبال العالية وتغمره الطّبيعة السّاحرة، عاشت قبيلة مميّزة من الحمير، كانت هذه القبيلة معروفة بجمال لونها الأحمر اللاّمع الّذي يشبه شعلة غروب الشّمس في الأفق، كان لونها هذا مصدر فخرها واعتزازها، بل وسببًا في احترام كلّ حيوانات الغابة لها في لم يكن الأمر يتعلّق فقط بالجمال، بل كان الأحمر بالنّسبة لها رمزًا للقوّة والتّماسك وعلامة على ارتباطهم العميق بجذورها وقبيلتها.

كانت الحياة تسير في هذا الوادي بهدوء وسلام، وكانت الأيّام تمرّ كما لو أنّها لوحات مرسومة بألوان الطّبيعة.

وفي صباحٍ مشرقٍ، أشرقت الشّمس على حدثٍ غير عاديٍ في القبيلة، كانت الأمّهات والحمير جميعًا ينتظرون بفارغ الصّبر مولودًا جديدًا سيضيف فرحةً جديدةً إلى القبيلة، عندما وُلد الجحش الصّغير، عمّ الفرح والاحتفال، ولكن سرعان ما تحوّل الفضول إلى دهشة، لم يكن الجحش يشبه بقيّة الحمير بلونه الأحمر المألوف، بل كان مختلفًا تمامًا، لونه كان أسود داكنًا أشبه بلون اللّيل في أعمق حالاته، وكأنّ الظّلام قد اختار أن يكون له رداءً دائمًا، كانت هنالك همسات من الحمير حوله مع وجود نظرة واحدة مليئة بالحبّ والاعتزاز، إنّها نظرة أمّه الّتي لم تهتم بلونه أو اختلافه عن بقيّة الحمير بالنّسبة لها، كان هذا المولود هديّةً من السّماء وقطعةً من قلبها مهما كان شكله أو لونه، احتضنت الأمّ الجحش الصّغير برفق، وكأنّها تحميه من كلّ نظرة تشكّكّ في قيمته.

قالت الأمّ بصوت دافئ ومليء بالحنان: "إنّه ابني، وسيكون اسمه جحشون، لا يهمّ لونه، ما يهمّ هو قلبه وشجاعته".

هكذا بدأ جحشون حياته في قبيلة كانت ترى في اللّون الأحمر معيار الجمال والمكانة، وهو بلونه الأسود يقف كعلامة مختلفة، يحمل معه قصّة بدأت بالدّهشة، لكنهّا ستصبح يومًا ما حكاية تُروَى للأجيال عن الشّجاعة والتّغيير.

في البداية، فرح أفراد القبيلة بمجيء جحشون، فقد كان مولده مناسبةً للاحتفال والتّفاؤل، وكان الجميع يحتفل بقدوم كلّ مولود جديد كأنّه إضافة ثمينة للقبيلة. ولكن مع مرور الأيّام، بدأ الوضع يتغيّر، عندما بدأت الحمير الصّغرة تلاحظ لون جحشون المختلف، أخذت التّساؤلات تتسلّل إلى عقولهم الصّغيرة؟؟؟، كانت تجتمع في مجموعات صغيرة تتهامس وتضحك: "انظروا إلى جحشون، إنّه لا يشبهنا."، "أنت غريب، كيف يمكن أن تكون واحدًا منّا؟".

مع مرور الوقت، تحوّلت همساتهم إلى كلمات مباشرة تحمل طابع التّنمّر، كلّما اقترب منها جحشون للّعب، كانت تبتعد عنه وتجتنه، "لا يمكنك اللّعب معنا، أنت لست مثلنا". كانت تلك الكلمات ثقيلة على قلب جحشون الصّغير، وبدأ يشعر بالعزلة والوحدة، في أحد المساءات، لم يتمكّن من تحمل الأمر أكثر، ركض إلى أمّه والدّموع تنهمر من عينيه، واحتضنها بشدّة، قال بصوت متقطّع:"أمّي، لماذا أنا مختلف؟ لماذا لوني ليس أحمر مثلهم؟ لماذا لا يقبلونني؟"، نظرت إليه أمّه بحنان، عيناها تحملان حبًّا لا حدود له، ربّتت على ظهره برفق وقالت: "يا جحشون، الاختلاف هو ما يجعل كلّ واحدٍ منّا مميّزًا، نحن لا نحتاج لأن نكون متشابهين لنكون عائلة، ستفهم معنى كلامي هذا عندما

تكبر"، لكن كلماتها، رغم صدقها لم تكن كافية لتخفّف الألم في قلب جحشون الصّغير، فهو لم يكن يفهم بعد كيف يمكن للاختلاف أن يكون ميزة، وبقي حزينًا، يشعر بأنّه خارج دائرة القبول، في أحد الأيّام، بينما كانت أمّه تراقبه بحزن وهو يجلس وحيدًا بعيدًا عن بقيّة الحمير، قرّرت أن تتدخل لإسعاده، اقتربت منه وجلست بجانبه، ثمّ قالت بنبرة دافئة مليئة بالعطف: "يا جحشون، لديّ فكرة قد تساعدك، هل تودّ اللّعب مع أصدقائك دون أن يزعجوك؟"، نظر إليها جحشون بتردّد وشيء من الأمل: "ما هي فكرتك أمّي؟"، ابتسمت ووضعت يدها على رأسه قائلة: "سنقوم بتلوينك بالألوان المائيّة الحمراء، تمامًا مثل لون بقيّة الحمير، بهذه الطّريقة، لن يلاحظ أحد أنّك مختلف، وستتمكّن من اللّعب معهم بسعادة"، في صباح اليوم التّالي، جلبت الأمّ علبة كبيرة من الألوان المائيّة الحمراء الّتي استخدمتها بحذر وحبّ، بدأت تمسح على فروه الأسود برفق، وكأنّها ترسم لوحة فنيّة.

ظل جحشون جالسًا ساكنًا بينما أمّه تعمل بحماسة، تملأ المكان بابتسامتها الدّافئة، عندما انتهت أمّه من تلوينه، قادته إلى بركة ماء صغيرة في الغابة، وقف جحشون بجانبها، يتأمّل انعكاس صورته على سطح الماء الهادئ، لم يصدّق ما يراه، لقد أصبح جسده مغطّى بالكامل باللّ ون الأحمر اللاّمع، تمامًا مثل بقيّة الحمير في القبيلة، كان التّغيير مذهلاً بالنّسبة له، للمرة الأولى في حياته، لم يشعر بأنه مختلف، حدّق طويلاً في صورته، وكأنّ عينيه لا تكفيان لتصديق ما حدث، ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وبدأت عيناه تلمعان من الفرح، ثم قال بصوت متحمس مليء بالامتنان: "لقد أصبحت مثلهم تمامًا، شكراً لكِ يا أمي، أنتِ الأفضل"، ربّتت أمه على رأسه بحنان بالغ وقالت: "أنا سعيدة لأنك سعيد، يا صغيري، اذهب الآن واستمتع بوقتك مع أصدقائك، لا تنسَ أنك تستحق السّعادة مثل أي فرد في القبيلة"، ركض جحشون نحو الساحة التي اعتاد أصدقاؤه اللعب فيها، كان قلبه يخفق بسرعة، ليس فقط بسبب حماسته، ولكن أيضًا بسبب تردد خفي يملأ داخله، هل سيتقبلونه الآن؟ هل سيعاملونه كواحد منهم؟ ومع اقترابه، بدأ يسمع أصوات ضحكاتهم وصراخهم وهم يلعبون، مما زاد من توتره، عندما وصل أخيرًا، توقفت كل الأنظار عن اللعب وبدأت تركّز عليه، حدّق أصدقاؤه فيه بدهشة، غير مصدقين ما يرونه، صرخ أحد الحمير فجأة: "يا إلهي! هل هذا جحشون؟ لقد أصبح مثلنا تمامًا"، اقترب منه الآخرون بحماس، وبدأت الابتسامات تعلو وجوههم، قال أحدهم: "هيا، تعال معنا، لنلعب معًا"، كان ذلك اليوم من أجمل أيام جحشون، لعب مع أصدقائه طوال النهار، متنقلاً بين الجري والقفز والضّحك، شعر وكأنه يعيش حلمًا طالما تمنى أن يصبح حقيقة، لم يكن هناك أيّ اختلاف هذه المرة، لقد كان واحدًا منهم،

وكان الجميع يعاملونه على هذا الأساس، لكن مع غروب الشمس، بدأت الغيوم الداكنة تظهر في السماء،كان الجميع منهمكين في اللعب، ولم يلاحظوا القطرات الأولى من المطر وهي تبدأ بالتساقط، في البداية، كانت الأمطار خفيفة، لكن سرعان ما اشتدت وأصبحت غزيرة، ركض الجميع بحثًا عن ملجأ يقيهم من البلل، بينما وقف جحشون في مكانه للحظة، محاولاً حماية الطلاء على جسده، مع استمرار هطول المطر، بدأ الطلاء الأحمر يذوب تدريجيًا، رأى جحشون اللون الأحمر ينساب على الأرض، كاشفًا عن لونه الأسود الحقيقي، شعر بالذعر والخجل، وحاول التراجع أو الاختباء، لكن الوقت كان قد فات.

انتبه أصدقاؤه إلى ما يحدث، وبدأت نظراتهم تتغير، صمتوا للحظات، ثم بدأ البعض يتهامس، بينما أطلق آخرون كلمات جارحة: "لقد خدعتنا، أنت لست مثلنا"، شعر جحشون وكأن الكلمات تضربه كسهام حادة، لم يستطع تحمل نظرات الاستهزاء والرفض، ركض عائدًا إلى أمه والدموع تنهمر من عينيه، عندما وصل إليها، كان منهكًا تمامًا من الحزن، قال بصوت متقطّع مليء بالأسى: "أمّي، لم تنجح فكرتك، لقد اكتشفوا أني مختلف مجددًا، هم لا يريدون اللّعب معي بعد الآن"، وضعت أمه يدها على كتفه بحنان وقالت له: "اهدأ يا صغيري، أنا هنا معك، سنجد حلاً لهذه المشكلة معًا"، جلست بجانبه تفكر بعمق، أدركت أن الألوان المائية لم تكن الحل، وأن ما يحتاجه جحشون ليس مجرّد تغيير في مظهره، بل شيئًا أعمق يمكن أن يجعله يشعر بأنه مقبول بين أصدقائه، برقت فكرة في ذهن الأم كوميض برق يضيء سماء مظلمة، ابتسمت بثقة، وكأن الحلّ الذي طال انتظاره قد ظهر أخيرًا، نظرت إلى جحشون بحنان وقالت بصوت ملؤه الأمل: "يا صغيري، هذه المرة لدي خطة أفضل"، رفع جحشون رأسه ببطء، وقد بدت الحيرة في عينيه، كان مترددًا، فهو لم ينسَ خيبة أمله السابقة، سألها بصوت منخفض ولكنه مليء بالفضول: "وما هي الخطة، أمي؟ هل تعتقدين أنها ستنجح حقًّا هذه المرة؟"، ابتسمت الأم وأمسكت يده برفق، محاولة طمأنته، قالت بحماس واضح: "سأصنع لك لباسًا أحمر من القماش، سيبدو وكأنه جلدك تمامًا، وسيكون مقاومًا لكل شيء، حتى المطر لن يتمكن من تغييره أو إفساده"، بدا الذهول على وجه جحشون، لكنه شعر ببارقة أمل جديدة تنبض في قلبه، نظر إلى أمه وقال: "هل هذا ممكن حقًا؟ لباس لن يذوب تحت المطر؟"، أومأت الأم بحماس وهي تقول: "نعم، صغيري، سأعمل

عليه بكل مهارتي، أثق أن هذه المرة سيكون الأمر مختلفًا تمامًا"، لم تضيع الأم أي وقت. انطلقت فورًا إلى العمل، مصممة على أن تجعل فكرتها حقيقة. جمعت قطعًا من القماش الأحمر اللامع الذي احتفظت به لسنوات، وكأنه كان ينتظر هذا اليوم بالذات. وضعت القماش على الطاولة، وأحضرت أدوات الخياطة الخاصة بها. جلست، وبدأت تعمل بتركيز ودقة لا مثيل لهما، كانت تخيط بمهارة فائقة، تضيف كل غرزة بحب واهتمام، وكأنها تحيك درعًا لحماية صغيرها من كل ألم، كانت تتوقف بين الحين والآخر لتتأكد من أنّ اللّباس يناسب حجم جحشون تمامًا، وأنه سيكون مريحًا له أثناء ارتدائه، مرّت ساعات طويلة من العمل الجاد، كانت الأم تضع كل طاقتها وإبداعها في هذه المهمة، غير مكترثة للتعب الذي بدأ يظهر على ملامحها، كانت تفكر فقط في سعادة صغيرها، وفي اللحظة التي سيرتدي فيها هذا اللباس ويرى نفسه به.

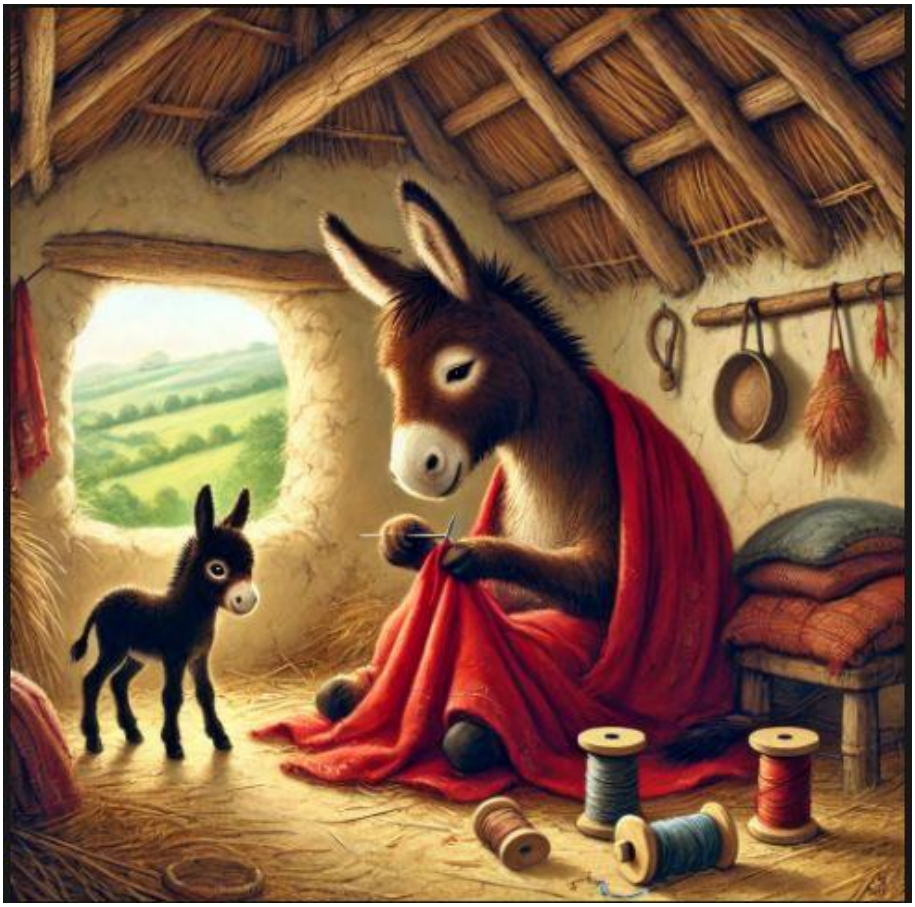

وأخيرًا، مع اقتراب منتصف الليل رفعت الأم اللباس الأحمر بين يديها وقد انتهت من صنعه، كان يلمع تحت ضوء القمر الذي يتسلل عبر نافذة صغيرة في الكوخ، ابتسمت بفخر، وشعرت وكأنها قد أنجزت شيئًا عظيمًا. من الغد صباحا نادت صغيرها: "تعال يا جحشون، تعال لترى المفاجأة التي أعددتها لك"، قالت الأم بصوت مفعم بالحماس وهي تحمل اللّباس الأحمر بين يديها، تقدم جحشون بخطوات مترددة نحو أمه، وعيناه تراقبان اللّباس باندهاش، لم يستطع تصديق أن هذا الشيء اللامع والمبهر قد صُنع له خصيصًا، "حقًا؟ هل هذا لي؟" سأل بصوت لا يخلو من التردد، وكأن الأمل بدأ يعود إلى قلبه، "بالطبع، صغيري، تعال الآن، دعني أساعدك على ارتدائه"، أجابت الأم وهي تبتسم بحنان، أخذت تمسك اللّباس بلطف، وبدأت تُلبسه إياه قطعة قطعة، كان جحشون يشعر بنوع من الحماس والفضول، يتساءل: كيف سيبدو في هذا الرّداء الجديد؟

عندما انتهى جحشون من ارتداء لباسه الأحمر الجديد، شعر وكأنه أصبح شخصًا آخر. انطلق بحماس نحو الساحة حيث يجتمع أصدقاؤه دائمًا للّعب، وكانت خطواته مليئة بالثقة، وكأن العالم بأسره صار مكانًا مشرقًا ومبهرًا، عندما وصل، توقفت جميع العيون عن اللعب والتفتت نحوه، صرخ أحد أصدقائه بدهشة: "يا إلهي! إنه جحشون! يبدو رائعًا جدًا!"، بينما اقترب آخر قائلاً بابتسامة واسعة: "هيا، انضم إلينا، سنقضي يومًا ممتعًا"، بدأ اللّعب سريعًا، وكان الضحك يملأ الأجواء، ركضوا في الحقول، قفزوا فوق الجداول الصغيرة، وتدحرجوا على العشب الأخضر، كان جحشون يشعر بسعادة غامرة أخيرًا، كان جزءًا من المجموعة، وكان الجميع يعاملونه كأنه واحد منهم تمامًا، لكن، وبينما كانوا يركضون بحرية في الحقول الممتدة، وقع ما لم يكن في الحسبان، علقت قطعة من اللّباس الأحمر في شجيرة شوكية ، توقف جحشون فجأة عندما شعر بالشد، ونظر إلى الوراء ليرى أن جزءًا صغيرًا من لباسه قد تمزق، حاول أن يحرره بحذر، لكن الشجيرة كانت عنيدة ولم يفلح في ذلك، "لا بأس، إنه تمزق صغير فقط" قال جحشون لنفسه محاولًا التخفيف من قلقه، لكنه لم يكن يعلم أن هذا التمزق الصغير سيبدأ سلسلة من المشكلات بينما استمر في اللعب بحماس، بدأ اللباس يتفكّك شيئًا فشيئًا، تمزقت قطعة أخرى عندما قفز فوق جذع شجرة، ثم قطعة أخرى عندما حاول أن يتسلل بين الأغصان، في البداية، حاول جحشون أن يخفي الأمر عن أصدقائه، كان يتوقف بين الحين والآخر ويحاول إعادة ربط القماش الممزق، لكن محاولاته كانت تبوء بالفشل ومع كل حركة جديدة كان اللباس يتآكل أكثر فأكثر، حتى بدأ شكله يتغير تمامًا، عندما لاحظ أصدقاؤه ما حدث، توقفوا عن اللعب ونظروا إليه بدهشة، قال أحدهم بصوت

متردد: "جحشون، ماذا يحدث؟"، عندها شعر جحشون بالخجل الشديد، وانخفض رأسه بينما كانت بقية القماش تسقط عن جسده، ليظهر لونه الأسود من جديد، وقف جحشون في مكانه عاجزًا عن الكلام، وشعر بأن كل السعادة التي عاشها خلال النّهار قد اختفت فجأة، ليحل محلها إحساس بالحرج والخوف، حاول أن يبتسم، لكنه لم يستطع، وفي تلك اللحظة، أدرك أن محاولته للاندماج لم تكن كما تصور، وأن اللباس الأحمر كان مجرد غطاء لم يستطع أن يخفي حقيقته لفترة طويلة. كانت كلماتهم تصيب قلب جحشون كسهام مؤلمة، شعر بالحرج والغضب يتصاعد بداخله، لكنه لم يستطع الرّدّ، وقف في مكانه، عاجزًا عن الدفاع عن نفسه، بينما تعالت الضّحكات من حوله.

كان كل صوت سخرية يدوي في أذنيه كأنما يهمس له: "لن تكون جزءًا من القبيلة أبدًا".

ركض جحشون عائدًا إلى أمه، دموعه تنهمر بغزارة كأنها أمطار شتوية، عندما وصل إليها، كان صوته يرتجف من شدة البكاء: "أمي، لم تنجح فكرتك مرة أخرى"، قال بصوت مفعم بالألم، "أصدقائي طردوني من جديد، لم يعد لدي مكان بينهم"، نظرت الأم إلى صغيرها بعينين مليئتين بالأسى، شعرت بالحزن العميق لأجله، لكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أن هذه التجارب الصّعبة هي ما سيجعله أقوى في المستقبل.

جلست بجانبه تربّت على رأسه بحنان وقالت: "يا صغيري، أحيانًا يجب أن نواجه التحديات حتى نكتشف قوتنا الحقيقية، كتب في قدرك هذا، ويجب أن تكون صلبًا في قبول ما انت عليه، وهذا هو الاختبار الحقيقي في حياتحك هذه، كلنا نواجه تحديات كبيرة وصعبة وكل منا تواجهه بشكل مختلف والقوي هو من يواجهها ويتعايش معها وليس الهروب منها "، كان كلامها صادقا لكنه لم يصل إلى قلب جحشون الذي كان مليئًا بالمهانة والغضب، شعر بأنه لم يعد يحتمل كل ما يحدث له، ولم يعد لديه طاقة للاستمرار في محاولة إرضاء الآخرين، وقف فجأة وقال بصوت غاضب يمتلئ بالتحدي: "لقد تعبت من كلّ هذا، تعبت من المكان الذي لا يقبلني كما أنا، ليس لي ذنب في ما أنا عليه والله خلقني هكذا، ولكن هؤلاء لا يعرفون حكمة الله في هذا، وبالتالي فمع هؤلاء لن يهنأ لي عيش ولا سعادة أرجوها بقربهم".

استدارت الأم لتراه يركض مبتعدًا، خطواته كانت مليئة بالغضب والإصرار، حاولت أن تناديه: "جحشون، انتظر، لا تترك القبيلة"، لكنه لم يتوقف، كان قد اتخذ قراره، وقرر أن

يترك كل شيء وراءه، ركض نحو المجهول تاركًا القبيلة وأصوات السخرية خلفه ليبحث عن مكان قد يجد فيه الراحة والقبول، كان مصممًا على إيجاد عالم لا يحتاج فيه إلى تغيير جلده أو شكله ليُقبل كما هو.

بينما كان يسير في طريقه، كانت مشاعر الحزن والغضب تتصارع في داخله، لكنه كان يعرف شيئًا واحدًا: لن يعود حتى يجد مكانًا يشعر فيه بالانتماء الحقيقي.

لم يتوقف إلا عندما وجد نفسه في قلب غابة كثيفة، كانت الأشجار العملاقة تمتد نحو السماء كأنها أعمدة تدعم الكون، وأغصانها المتشابكة تحجب أشعّة الشّمس، تاركة

المكان في ظل دائم، أصوات الطّيور تغني بين الأغصان، وصدى حفيف الأوراق يملأ الأجواء وكأنه لحن طبيعي، بينما كانت حيوانات صغيرة تتحرك بين الشجيرات بهدوء وحذر، توقف جحشون للحظة، يلهث من التعب، ونظر حوله بعينين تحملان مزيجًا من الفضول والخوف، كان المكان مختلفًا تمامًا عن القبيلة، غريبًا ومثيرًا في آن واحد، شعر بقلبه ينبض بسرعة، ليس فقط من الرّكض ولكن من رهبة المجهول، حاول أن يسيطر على خوفه، فرفع رأسه وقال بصوت متهدّج ولكنه حازم: "سأعيش هنا وحدي، لن أحتاج إلى أحد بعد الآن".

حاول جحشون أن يبدو شجاعًا وهو ينظر إلى أعماق الغابة، لكنه لم يستطع تجاهل القشعريرة التي تسللت إلى جسده عندما سمع صوت غصن ينكسر تحت أقدام مجهولة، أدار رأسه بسرعة ليتأكد أنه وحده، ثم قال لنفسه بصوت خافت، وكأنه يحاول إقناع قلبه

الخائف: "هذا مكاني الآن، سأصنع هنا حياة جديدة، حياة لا أحد يسخر فيها مني أو يرفضني" ومع ذلك، لم يستطع أن ينكر شعور الوحدة الذي بدأ يزحف إلى قلبه، حاول أن يشتت أفكاره، فبدأ في استكشاف المكان بحذر، يبحث عن بقعة آمنة يقضي فيها ليلته الأولى في الغابة، كان يعلم أن التّحدّيات تنتظره، لكنه كان مصممًا على المضي قدمًا، معتقدًا أن الغابة ستكون بداية جديدة لحياة تختلف تمامًا عن حياته في القبيلة. مع حلول الليل، بدأ الظلام يغطي الغابة، وأصبحت الأصوات أكثر إخافة، سمع جحشون عواء الذئاب وزئير الأسود، فشعر بالخوف الشديد، حاول البحث عن مكان للاختباء، "أين يمكنني أن أختبئ؟ يجب أن أجد مكانًا آمنًا"، قال بصوت مرتجف، "يجب أن أسرع قبل أن يتفطن أي كان لوجودي هنا"، أضاف في همس داخلي، أخيرًا، وجد كومة من الحطب الجاف، فاختبأ تحتها، كان قلبه ينبض بسرعة من شدّة الخوف، في هذه اللحظة، سمع حديثًا قريبًا، كان هناك مجموعة من الأسود تتحدّث بصوت منخفض.

استرق جحشون السمع بصمت تام، وقد اختبأ بعناية تحت كومة الحطب المتهالكة، حتى لا يلاحظ الأسود وجوده، كانت أصوات الأسود عميقة ومخيفة، تتردد أصداؤها بين أشجار الغابة الكثيفة، قلبه الصغير ينبض بسرعة تكاد تكون مسموعة، ولكنه أجبر نفسه على التركيز فيما يُقال، "سنهاجمها آخر الليل ولن تتمكن من الهروب منا، هذه المرة لن نترك أي حمار يعيش"، قال أحد الأسود وقد بدا صوته مليئًا بالثقة والغطرسة، "أحسنتم التخطيط" أجاب آخر، وأضاف بنبرة جشعة: "لقد عانينا الجوع طويلاً، هذه القبيلة ستكون وليمة لا تُنسى"، ارتجف جحشون لسماع تلك الكلمات المرعبة، كانت فكرة الهجوم الوشيك على قبيلته أشبه بكابوس حي، لوهلة، شعر بالخوف يشل حركته، وكاد أن يستسلم لليأس، لكن مع مرور اللحظات، بدأ شعور آخر يتغلغل داخله، مسؤولية لم يعرفها من قبل، "حتى لو كانوا يسخرون مني ويتنمرون علي، فهم عائلتي، لا يمكنني أن أتركهم يتعرضون لهذا المصير المروع، يجب أن أحذرهم"، كانت الفكرة نفسها مخيفة، العودة إلى القبيلة عبر الغابة المظلمة تعني مواجهة خطر الأسود التي قد تكتشف مكانه، لكنه أدرك أن هذا هو الخيار الوحيد، إذا انتظر حتى الفجر، سيكون الأوان قد فات، جمع شجاعته وكتم أنفاسه بينما ألقى نظرة خاطفة على الأسود، كانوا منشغلة بالحديث عن خطتها التالية، ولم تلاحظ وجوده، تسلل بحذر شديد، متفاديًا أي حركة قد تحدث صوتًا، مع كل خطوة كان يبتعد فيها، كان قلبه يخفف شيئًا فشيئًا من توتره، لكنه لم يتوقف عن الجري، عندما ابتعد عن موقع الأسود ووجد نفسه في وسط الغابة، بدأ يركض بأقصى سرعته، كانت ظلال الأشجار تمتد طويلة ومخيفة، وكأنها تحاول الإمساك به، أصوات اللّيل كانت مرتفعة، صراصير الغابة وصرير الرياح بين الأشجار جعلت الأمر أكثر

رهبة، لكنه لم يلتفت للخلف أبدًا، "يجب أن أصل إلى القبيلة قبل الفجر، يجب أن أحذرهم" قال في نفسه، مستمدًا طاقته من تصميمه. في طريقه، تعثرت قدماه بحجر وسقط على الأرض، شعر بالألم في ساقه، لكن هذا لم يمنعه من النهوض سريعًا، "لا وقت للتوقف، قبيلتي تعتمد عليّ"، قال ذلك وهو يستعيد توازنه ويواصل الركض، عندما اقترب من أطراف القبيلة، رأى أضواء خافتة من الأكواخ التي يسكنها الحمير. شعر بدموع الفرح تغمر عينيه، "سأنقذها" همس في نفسه، واندفع نحو القبيلة وهو يصرخ: "استيقظوا، الأسود قادمة، يجب أن نستعدّ".

عندما وصل جحشون إلى أطراف القبيلة، كان جسده يرتجف من التعب والخوف، وأنفاسه تتلاحق كأنه يلهث بعد سباق طويل، توقف للحظة محاولًا استجماع قوته، ثم رفع رأسه وأطلق صرخة قوية هزّت سكون الليل: "هناك أسود تخطط لمهاجمتنا، علينا أن نستعد فوراً"، بدأت الحمير التي كانت تستمتع بهدوء الليل تخرج من أكواخها واحدة تلو الأخرى، متفاجئة من صراخه، عيونهم كانت مزيجًا من الدّهشة والقلق، فقد بدا جحشون وكأنه عاش تجربة مرعبة، رغم اختلافه عنهم وما تعرض له من تنمر في الماضي، كانت نبرته المليئة بالجدية والخوف كفيلة بجعل الجميع يصغي إليه باهتمام

كرر جحشون كلامه بوضوح أكبر: "الأسود ستهاجمنا فجرا ويجب أن نستعد الآن، وإلا لن تكون هناك نجاة"، سرعان ما تحول همس الحمير إلى ذعر، البعض بدأ يتحرك هنا وهناك دون هدف، والبعض الآخر وقف متجمداً في مكانه، عاجزًا عن استيعاب ما يحدث، كانت العيون يملؤها الرعب وصوت الهمسات القلقة يزداد ارتفاعًا.

وسط هذا المشهد المربك، خرجت والدة جحشون من بين الحمير، كانت عيناها تحملان مزيجًا من الحنان والحكمة، ومع أن قلبها كان يرتجف خوفًا على ابنها، إلا أنها وقفت بثبات بجانبه وقالت بصوت هادئ لكنه قوي: "علينا أن نثق بجحشون، لقد خاطر

بحياته لينقذنا، وهذا دليل على شجاعته، الآن علينا أن نعمل معًا لحماية قبيلتنا"، كان لكلماتها وقع السحر على الحمير، توقف الجميع عن التهامس، ونظروا إلى جحشون بعين جديدة، ذلك الحمار الصغير الذي طالما اعتبروه مختلفًا، كان الآن يقف أمامهم كمنقذ محتمل، عندها، تقدم شيخ القبيلة، حمار أحمر هرم ذو لحية رمادية كثيفة، معروف بحكمته وهدوئه في أحلك الأوقات، كان يخطو بخطوات بطيئة وثابتة، حتى وقف أمام جحشون، ونظر إليه بعينيه العميقتين: "جحشون، كيف عرفت خطة الأسود؟"، سأل بصوت عميق لكنه خالٍ من الاتهام، مما منح جحشون شعورًا بالراحة، رفع جحشون رأسه، ونظر مباشرة في عيني الشيخ قائلاً بثقة: "كنت أختبئ في الغابة، محاولاً الابتعاد قليلاً عن القبيلة، عندما سمعت الأسود تتحدث عن خطتها، قالت إنها ستهاجمنا آخر الليل، لم أستطع أن أترك هذا يحدث، حتى لو كنت أعلم أن الرحلة إلى هنا كانت خطيرة"، هنا، شعر الجميع بصمت ثقيل يعم المكان، الحمير كلها تنظر إلى جحشون بدهشة واحترام، لم يعد يُنظر إليه كصغير ضعيف أو مختلف، بل كحمار شجاع يحمل على عاتقه مسؤولية كبيرة، شيخ القبيلة أومأ برأسه وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول: "لقد أثبت يا جحشون أنك تملك قلبًا شجاعًا، الآن ليس وقت الذعر بل العمل، لنستعد معًا لمواجهة الأسود"، بدأت الحمير تتحرك بسرعة ولكن بنظام. بفضل شجاعة جحشون وكلمات أمه الحكيمة وعزم شيخ القبيلة تغيرت أجواء القبيلة من خوف مطبق إلى تصميم جماعي، توقف شيخ القبيلة لحظات متأملاً، ثم قال بصوت مليء بالثقة: "علينا أن نستخدم عقولنا، الأسود تعتمد على الظلام لتفاجئنا، ولكن ماذا لو عكسنا اللعبة وجعلناها عاجزة عن رؤيتنا؟"، ساد الصمت بين الحمير، كل منهم يحاول فهم ما يقصده

الشيخ، حينها تقدم جحشون بخطوات واثقة، وعيناه تلمعان بفكرة جريئة، قال بحماس متزايد: "لوني الأسود يجعلني غير مرئي في الظلام، ماذا لو قمنا بتلوين أجسامنا جميعًا باللون الأسود؟ عندها لن تتمكن الأسود من رؤيتنا، وسنكون مستعدين لمواجهتها"، نظر الجميع إلى بعضهم بدهشة، ثم بدأت الابتسامات تعلو وجوههم، كانت الفكرة بسيطة لكنها عبقرية، صرخ أحد الحمير: "هذه خطة ممتازة! هيا نبدأ فورًا"، تكلم شيخ القبيلة قائلا: "إنها فكرة ممتازة فعلا، لننفذها حالا دون إبطاء"، وبدأ الجميع بالعمل، انطلقت الحمير تجمع الطين الأسود والفحم من أنحاء الغابة، كانت يعملون معًا كفريق واحد، يساعد كل منها الآخر، أصوات الضحكات والتشجيع ملأت المكان، بينما انشغلت بتلوين أجسادها، حتى أن البعض كان يضيف رسومات صغيرة على وجهه ليبدو أكثر تخويفًا.

مع اقتراب الفجر، كانت القبيلة بأكملها قد أصبحت جاهزة، أجسادهم المموهة باللون الأسود اندمجت تمامًا مع الظلام المحيط، واختبأ كل منها في مكان إستراتيجي حول الوادي، انتظرت الحمير بصبر دون أن تصدر أي صوت، وعيونها تراقب الأفق بحذر.

كانت قبل ذلك قد تجمعت بالعشرات وتدارست لآخر مرة خطتها لصد الهجوم، ثمّ لتمر لتنفيذها وكلّها عزم وشجاعة.

عندما وصلت الأسود أخيرًا، كانت تتحرك بحذر، تبحث عن أي علامة للحياة في القبيلة، لم تجد شيئًا سوى صمت ثقيل وأكواخ فارغة، فظنت أن الحمير نائمة أو قد هربت.

تقدمت الأسود بخطوات واثقة نحو مركز القبيلة، لكن قبل أن تصل، دوى صوت قوي في المكان، قفزت الحمير من مخابئها في لحظة واحدة وبدأت بإصدار أصوات عالية وضربت الأرض بأرجلها القوية. الأسود التي كانت تعتمد على بصرها وجدت نفسها محاصرة في ظلام لا تستطيع اختراقه، وصوت الحمير يحيط بها من كل جانب، شعرت بالارتباك والخوف ولم تتمكن من تحديد مصدر الهجوم، تحولت الفوضى إلى معركة شرسة، الحمير التي كانت تُعتبر ضعيفة في نظر الأسود أظهرت شجاعة وقوة لا مثيل لهما، بدأت الأسود في التراجع محاولة الهرب من الوادي بينما الحمير تلاحقها وتضربها حتى غادرت المكان كليّا.

عندما هدأت الأجواء واطمأن الجميع أن الخطر قد زال، تجمعت الحمير حول جحشون، كانت أنفاسها لا تزال متلاحقة ولكن وجوهها تحمل نظرة فخر وامتنان، تقدم شيخ القبيلة نحو جحشون، وضع يده على كتفه وقال بصوت مليء بالإعجاب:

"لقد أثبتَ يا جحشون أنّك شجاع وذكي، لولا فكرتك العبقرية وتنبيهنا في البداية لكنّا الآن أمواتا، من اليوم فصاعدًا، لن يكون لونك الأسود سببًا للتّنمّر، بل سيكون رمزًا للشّجاعة والفخر، من كان يظنّ يا صغيري أنك ستكون منقذا لقبيلتك من الفناء المدمر، ولكن الحمد لله أن وهبك الله لنا ليكون دليلاً جديدًا لنا في أنّ المختلف ليس ضرورة أن يكون سيّئًا، بل قد يكون هو الأفضل".

تعالت أصوات التّصفيق والهتافات باسم جحشون، وقف الجميع يحيّونه وابتسامة كبيرة تعلو وجهه، منذ تلك الليلة، أصبح اللّون الأسود لونًا مميزًا في القبيلة، وجحشون أصبح بطلها الّذي ستُحكى قصّته جيلاً بعد جيلٍ.

أسئلة للفهم:

كيف كان جحشون مختلفًا عن بقية الحمير في القبيلة؟

.....

كيف تعامل الحمير الصّغار مع اختلاف جحشون في البداية؟ وهل كان تصرّفهم صحيحًا؟

.....

ما الحلول التي حاولتها أم جحشون لجعله سعيدًا ومقبولًا بين أصدقائه؟

.....

ماذا حدث عندما نزل المطر على جحشون؟ وكيف كانت ردود فعل أصدقائه؟

.....

كيف أثبت جحشون شجاعته وأصبح بطل القبيلة؟

.....

لماذا بدأت الحمير تفضل اللّون الأسود بعد الحادثة؟

.....

ما الدّرس الذي تعلمته الحمير من جحشون؟ وكيف يمكننا تطبيقه في حياتنا؟

.....

إذا كنت مكان جحشون، ماذا كنت ستفعل عندما يتنمر عليك الآخرون؟

.....

فوائد القصة

- ✓ **تعزيز الثّقة بالنفس:** تعلم الأطفال أهميّة تقبل اختلافاتهم والاعتزاز بما يميزهم.
- ✓ **أهمّية الشّجاعة:** تُبرز القصة كيف يمكن للشجاعة أن تحوّل الفرد إلى بطل حتّى في أصعب الظروف.
- ✓ **قيمة التّعاون:** يظهر دور الجماعة في مواجهة التّحدّيات والعمل المشترك للتّغلّب على الأزمات.
- ✓ **التّسامح وقبول الآخرين:** تعلم الأطفال أهمّيّة عدم الحكم على الآخرين بناءً على المظاهر أو الاختلافات.
- ✓ **التّغلّب على التّنمّر:** تعطي القصّة مثالًا إيجابيًّا عن كيفيّة مواجهة التّنمّر وتحويله إلى قوّة دافعة.

توصيات للأهل والمعلّمين

- ✓ **مناقشة القصّة مع الأطفال:** اسألوا الأطفال عن رأيهم في جحشون وكيف تغلّب على التّحدّيات.
- ✓ **تعزيز قيم التّسامح:** اربطوا أحداث القصة بحياة الأطفال وشجّعوهم على احترام اختلافات زملائهم.

- ✓ **تطبيق دروس القصّة:** قوموا بأنشطة عمليّة لتوضيح أهمّيّة التّعاون، مثل ألعاب جماعيّة أو مشروعات مشتركة.

- ✓ **تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم:** شجّعوا الأطفال على التّحدّث عن الأشياء الّتي تجعلهم مميّزين.

- ✓ **التّوعية ضدّ التّنمّر:** استخدموا القصّة كمدخل لمناقشة التّنمّر وأضراره وطرق مواجهته.

في نهاية القصّة، تعلمتْ القبيلة درسًا لا يُنسى، وهو أن الاختلاف ليس عيبًا أو مصدرًا للضعف، بل هو أساس التنوع الذي يمنح الحياة جمالها ومعناها، لقد أدرك الجميع أن القيم الحقيقية لا تتعلق بالمظهر الخارجي أو اللون، بل تكمن في الشجاعة، الحكمة، والإخلاص، وفي الطريقة التي نساهم بها معًا في بناء مجتمع قوي ومتماسك، فهموا أن جحشون، على الرغم من اختلافه، أظهر شجاعة فريدة وروحًا نبيلة عندما دافع عن قبيلته وساهم في إنقاذها من خطر محقق.

تُقدم هذه القصة توصيات مهمّة للأطفال والكبار على حدٍ سواء، بالنسبة للأطفال، فهي تشجعهم على أن يكونوا فخورين بكل ما يميزهم، وأن لا يشعروا بالخجل من اختلافهم، بل عليهم أن يدركوا أنّ الاختلاف هو ما يجعل كل واحد منهم فريدًا ومميّزًا، كما تدعوهم إلى تقبل الآخرين واحترام تنوعهم لأنّه من خلال الاحترام والتفاهم يمكنهم بناء صداقات قويّة وعلاقات صحّيّة.

أما بالنسبة للآباء، فالقصّة تحمل رسالة تدعوهم إلى تعليم أطفالهم قيم التّسامح، التّعاطف والقبول، ينبغي أن يزرعوا في قلوب أطفالهم فكرة أنّ كلّ شخص له قيمته، بغضّ النظر عن مظهره أو خلفيّته، كما توصي القصّة بتشجيع الحوار المفتوح مع الأطفال وتعزيز روح التّعاون والدّعم بينهم وبين أصدقائهم.

في النهاية، تذكّرنا القصة أنّ العالم يصبح أكثر جمالًا وسلامًا عندما نتقبل بعضنا البعض كما نحن، بكل اختلافاتنا وتنوّعنا، وأن قوة المجتمعات الحقيقية تكمن في توحّدها، رغم كلّ ما يميّز أفرادها عن بعضهم البعض.